المفردة المعجمية وأثرها في البناءِ الأسلوبي في شعر المرأة العراقية

م.م. إخلاص عبد السلام عبد الباري أ.م.د. عبّاس عبد الحسين غيّاض
كلية الآداب/ جامعة البصرة
Email : lec.ikhlas.abdul-salam@uobasrah.edu.iq
Email : abbas.algaydh@gmail.com

الملخـــص

تعدّ المفردة المعجمية من أهم العناصر المكونة للنص الإبداعي، إذ يعمل المبدع على انتقاء ألفاظه بعناية فائقة ودقة ليبرز السمات والخصائص الأسلوبية مع بيان الدلالات المختلفة عبر تحويل تجربته المميزة إلى ثروة لفظية خاصة به تميزه عن غيره, وتسهم في كشفِ عوالم النص؛ فاللفظة الواحدة تحمل مجموعة من الانفتاحات الدلالية, وهو بهذا يعملُ على تحقيق التعدد ونفي الانغلاق؛ لأنّ المعاني الأولى تحيل إلى معانٍ أخرى؛ ما يجعل القارئ في بحثٍ دائمٍ في الأفق الدلالي.

يشكل شعر المرأةِ العراقيةِ بناءً أسلوبيًا متكاملًا له سماته وملامحه الجمالية التي جعلته قابلًا للدراسة؛ لما له من دقة في إيصال الدلالة والمعنى المُراد، لذا نجد أنّ المفردة المعجمية لها أثر بارز في الشعر, وما ميز شعر المرأة العراقية بناؤها الأسلوبي, ولمساتها الأنثوية الرقيقة, مبتعدة عن العنف تارة, ورافضة تارة أخرى, فهي هادئة, صاخبة, فجاءت مفرداتها ذات أفق واسع تعبر عن ذاتها, ومحيطها, فتلجأ للوضوح والبساطة مرة, متأملة ذات طابع فلسفي مرة أخرى، فالشاعرة أما أنها تعبر عن نفسها وما تعانيه، أو أن خيوط حروفها تسلط الضوء على حالة ما في المجتمع, ما جعل معجمها الشعري ثريًا بمفرداته الخاصة التي تميزها عن غيرها.

الكلمات المفتاحية: المفردة المعجمية, البناء الأسلوبي , شعر المرأة العراقية.

The Lexical Expression and Its Impact on Stylistic Construction in Iraqi Women's Poetry

Assist. Lect. Ekhlas Abdulsalam Abdulbari

Assist .Prof. Dr. Abbas Abdulhussein Gyadh

College of Arts / University of Basrah

Email: lec.ikhlas.abdul-salam@uobasrah.edu.iq

Email: abbas.algaydh@gmail.com

Abstract

A lexical vocabulary is one of the most important components of Creative text. The creator carefully selects his or her own shades of stylistic features and signifiers, showing different semantics Wil's distinctive experiment into his or her own verbal wealth, which distinguishes him or her from others. It also helps to uncover worlds. One word carries a set of semantic openings, and thus works to achieve a plurality of semantics: because the first meanings translate to other meanings: the continental search is always on the horizons.

All the hair of Iraqi women is an integral stylistic construction that has its own aesthetic features and features that have made it a security: Because of its accuracy in conveying ticks and semantics, we find that the lexical vocabulary has a remarkable effect of poetry and what distinguished the poetry of Iraqi women by its stylistic construction, and her gentle, twisty touch away from one moment and dismissive at a time, it is calm, loud and her vocabulary came with a broad horizon expressing her and her surroundings and went to clarity and simplicity once more .

Keywords :Lexical vocabulary, Style Construction, Iraqi Women's Poetry.

المقدمة

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله, والآخر بلا آخر يكون بعده, وأفضل الصلاة وأتم التسليم على اشرف الخلق محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

أما بعد...

إنّ المفردة المعجمية من أهم العناصر المكونة للنص, فتعمل على كشف عوالم النص وخفاياه, إذ إن لكُلِّ مفردة معنىً خاصًا يوظفه المبدع على وفق ما يراه ملائمًا لموضوعه, ولنصه الشعري, فلِكُلَّ مبدع أفكاره, ورؤاه التي تميزه عن غيرهِ, وهذا ما يتضحُ عبر توظيفه واستعماله للمفردات بدقة, منتقيًا ما يناسبه منها, فعملت الشاعرة العراقية على استعمال ما يتناسب مع موضوعاتها التي تطرحها, وما ينسجم مع الصورة التي تريد إيصالها إلى المتلقي, أو القارئ.

درس البحث المفردة المعجمية وبيّن أثرها في البناء الأسلوبي في شعر المرأة العراقية, ذاكرًا أبرز المفردات التي خلقت سمات وملامح أسلوبية في النصوص الشعرية, في الفترة الزمنية (١٩٨٠م) إلى (٢٠٠٠م), وتناول البحث توطئة تعريفية بالمفردة المعجمية, تبعها عنوانات فرعية لأبرز المفردات المعجمية لدى الشاعرات العراقيات, كـ: (مفردة الطبيعة, ومفردة الحزن, ومفردة الحب, ومفردة الموت, ومفردة النور, ومفردة العتمة, ومفردة الصمت), وخُتم بأهم النتائج التي توصل إليها.

وأخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الأطهار.

توطئة

إنّ لكلِّ مبدعٍ أسلوبه الخاص في انتقاء مفرداته التي يشكل منها معجمه الشعري الخاص به, وله بناؤه الأسلوبي المميز, إذ إنّ الاهتمام بالمفردات وتوظيفها له أثرٌ في القصيدة, فصاحب النص المبدع له ذخيرة من المفردات التي تشكل رصيدًا كبيرًا من الوسائل الأسلوبية, إذ يعمل على انتقاء الكلمة المناسبة؛ ليحقق تنوعًا وتميزًا في بنائه الأسلوبي[١], وإن المفردات المعجمية للمبدع هي معجمه الشعري الذي يتميز به عن غيره، ويكون لنصوصه الشعرية الخصوصية والتفرد، فيرتبط المعجم بتجربته ارتباطًا حيًا، إذ إن للشاعر موقفه وتجربته ورؤيته الخاصة للحياة التي يختلف بها عن غيره، ومعجمه مستمد من مجتمعه وبيئته الثقافية، إذ لهم تأثير على ما يكوّنه من مفردات، وما يختاره من بناء، فلا يبتعد عن محيطه؛ ليكون على تماس مع الذوق العام لما حوله، ولتجربته الشعرية دور في تشكيلِ معجمِه الشعريِّ، ومفرداته ودلالاتها؛ فإنَّه يستمدُ منها معانيه عاكسًا أثرها في قصائده[٢].

تسهم المفردة المعجمية في كشفِ عوالم النص؛ فاللفظة الواحدة تحمل مجموعة من الدلالات, وتعملُ على تحقيق التعدد ونفي الانغلاق؛ لأنّ المعاني الأولى تحيل إلى معانٍ أخرى؛ ما يجعل القارئ في بحثٍ دائمٍ في الأفق الدلالي, وبذلك تكون الاستمرارية في كثافته وانفتاحه الدلالي(٣).

ويعدّ استعمال المعجم الشعري من أبرزِ السمات والخصائص الأسلوبية التي تدلُّ على المبدعِ, إذ تبين سرّ صناعة الإنشاء لديه, فيعمل المبدع على جعلِ المفردات ذات دلالات إيحائية, صانعًا خطابه الأدبي بتحويل تجربته المميزة إلى ثروة لفظية خاصة به, تتضح من بنائه الأسلوبي لتظهر ذات ملامح جمالية بارزة, فتكون المفردات المعجمية خلايا حية يتحكم المنشئ في تخليقها, وتشكيلها, وينشط تفاعلاتها ليعطيها التفرد بين المنشئين المبدعين(٤), فالمفردات المعجمية هي كمٌ هائلٌ يشكل معجمًا ثريًا قد يشترك فيه المبدعون, وما يُصيِّرُ هذه المفردة, أو هذه المفردات خاصة بمبدع دون آخر هو كيفية توظيفه, واستعماله لها في بناءٍ خاص يتناسب مع قصديته وما يكتنف قصيدته, إذ إنه يمنحها الذاتية, والاستقلالية التي تبين قدرته على تفجير الطاقات المضمرة في اللفظة, فتتحول تلك الألفاظ أو المفردات المشبعة, والممتلئة بالدلالات الجديدة إلى سمة, أو خَصِيصَة من خصائص أسلوب المبدع الشعري(٥), فيبدع في رسم لوحاته الفنية بدلالاتها العميقة, عبر تشكيله لبناء أسلوبي مميزًا, موظفًا فيه الجانب الفلسفي والتأملي مع خلقِ سمات جمالية, فالمفردة المعجمية تعطي معنى واضحًا, ووقع مؤثرًا لدى المتلقي, فوجهات النظر مختلفة, لكنها تدل على شيءٍ واحد, وهو أن لكل شاعر مفرداته المعجمية التي تشكل معجمه الخاص, مستمدًا من محيطه, فلغته، وألفاظه، وعباراته، تقوم بإعطاء تصوير هندسي عمّا يدور في ذهنه، فيجسد بناءً أسلوبيًا يتسم بصوره التعبيرية, ورموزه الجمالية –التي ارتبطت بتجربة الشاعر(٦)–, المتناغمة أسلوبيًا(٧).

والشعر هو ما يعبر عن الشعور والأحاسيس سعيدة كانت، أو حزينة، ثائرة، أو رافضة، أو غيرها، فتلجأ المبدعة إلى انتقاء ألفاظها ومفرداتها لينسجم مع الموضوع الذي تطرحه فتارة تكون رقيقة في موضوعات العاطفة، وقوية في موضوعات الرفض, والحرب, والظلم, والطغيان، فتنوع الموضوعات أدى إلى خلق بناء أسلوبي يتسم بمعجمه الشعري الخاص, فضلًا عن أنّ لكُلِّ شاعرة عراقية معجمها الشعري ومفرداتها الخاصة التي تعرف بها وتطغى على نتاجها الشعري، وتتفق مع قريناتها في الوقت نفسه, فالبحث عني بدراسة المفردة المعجمية وأثرها في البناء الأسلوبي في شعر المرأة العراقية، ومن أبرز المفردات المعجمية التي أعطت بناء أسلوبيًا مميزًا لدى الشاعرات، هي:

١- مفردة الطبيعة

تعدّ الطبيعة مصدر إلهام مهم جدًا للشاعرة العراقية؛ إذ إنّ الشاعرة قد أبدعت في توظيفها لمفردات الطبيعة بمختلف ألفاظها متمثلة بالماء، والمطر، والرياح، والريح، والنار، والنبات بمختلف أنواعه، والتراب، والحيوان، والجماد, فقد تغنت الشاعرة بكل ما موجود في الطبيعة, ووظفته بما يناسب نصها الشعري، فتارة نجدها ترقص بين فراشات الحقول، وتارة تندب ألمها بين قطرات المطر، وأخرى غير ذلك، فيدخل هذا التنوع والتعدد ليكون عنصرًا ملهمًا في رسم لوحات شعرية بألوان مختلفة، ومتنوعة تبين فيها دلالات ورسائل تريد إيصالها إلى المتلقي، ومنه ما نجده عند الشاعرة البستاني إذ عُنيتْ كثيرًا بمفردة الطبيعة، ففي قصيدة "البصرة" نجدها رسمت صورة للطبيعة مفعمة بالجمال، إذ تقول(٨):

ملفّعةٌ بوهجِ النارِ
طافحةٌ بفوحِ الفُلِّ والنوّارِ،
صامدةٌ وحقِّ النخلِ والوعْدِ
وحقِّ أبي الخصيبِ وهيبة الجندِ
وحقِّ هواكَ أكتمُ منهُ أضعافَ
الذي أُبدي
وحقِّ هواكَ يطلُعُ منْهُ في جسدي
رياحينًا وأجنحةً،
وأسرابًا من الدوريِّ والرندِ
وأبكي مثلَما تتجرّحُ الأشجارُ
أصرخُ يا غبارَ الصيفِ،
يا وحل الشتاءِ
ويا عيونَ الفجرِ
لا أعطي العراقَ بجنّةِ الخُلدِ ..

انتقت الشاعرة مفرداتها، واختارت ما هو مناسب لموضوعها، فضلًا عن مشاعرها المتدفقة، وما لها من دورٍ في رسم لوحة شعرية صادقة، وبناء أسلوبي متكامل، فالطبيعة عنصر فعّال يضفي طابع الحياة للنص الإبداعي، على الرغم من غلبة طابع السكون والثبات لوجود الجمل الاسمية، بيدَ أن النص يعطي صورة متحركة بفعل وجود مفردة الطبيعة, فعطور النباتات، وحركة أجنحة الطيور, والرياح, والغبار كُلّها تقتضي الحركة والحيوية للنص الشعري، فيشكل صورة نابضة بالحياة مفعمة بالألوان.

فنجد الشاعرة قد أخذت من عناصر الطبيعة ألوانها؛ لترسم بريشتها لوحة شعرية جميلة عبّرت فيها عن حبها لمدينة البصرة, مع بيان الطبيعة المناخية لها, فتتسم مدينة البصرة بطبيعة مناخية حارة، فكأنها ملتفعة بوهج النار، فاكتسبت حرارتها منها، وعلى الرغم من طبيعة جوها الحار, إلا أنها ذات طبيعة خلابة جميلة تفوح منها عطور الأزهار, فضلًا عمّا تمتاز به من كثرة وجود النخيل الدال على الشموخ والصمود, فالبصرة مدينة شامخة, صامدة بأبنائها, فمفردة النبات لم تعطِ صورة للجو العام فقط، بل أعطت معنى دقيقًا, وسمة جميلة للمواطن البصري, وجاءت بأسلوب القسم مكررًا لتؤكد حبّها الكبير لمدينة البصرة بـ "وحقّ أبي الخصيب، وحقّ هواك، وحقّ هواكَ", فالملاحظ هنا أنّ قسم الشاعرة جاء مختلفًا؛ فهي لم تقسم إلا بالطبيعة أيضًا, فأبو الخصيب وهواك صورتان بينتا التعالق الروحي في بناء القصيدة التي حكت عنه الشاعرة.

وإن تناول المفردة المعجمية لتجربة الشاعرة العراقية يسهم في الكشف عن عوالمها الداخلية، فضلًا عن تلمس معالم رؤاها[٩]، فالشاعرة تتفنن في استعمال المفردات لترسم بريشتها لوحة فنية، مجسدة لفكرة ما, أو موضوعة ما, فجاءت في قصيدة للشاعرة مي مظفر بعنوان "هو"[١٠]:

عند السور الفضيّ
لمحتكَ تقطفُ زهر المشمشِ ..
تصفرُ لحنًا للريحِ .
نيسانْ ..
يتداخلُ عطر الأرضِ بكل الأحياءْ
نورًا سميتُك .. أم ماءْ
أبدًا ألقاك على جدران الدور ..
تُزيلُ أناملُكَ البيضاءُ غبارًا يعزل ..
عنا الأشياءْ

فعبرت الشاعرة بتوظيفها لمفردة الطبيعة عن الآخر الذي اتضح مِنْ عنوانِ القصيدة "هو"، طارحة صورة مفصلة بصرية بـ" لمحتكَ تقطفُ زهر المشمشِ", وسمعية, فصوت الريح "تصفرُ لحنًا للريحِ" المتولد أعطى نغمة موسيقية, وبوجود مفردة المكان والنور تشكلت تلك الصورة –السمعية البصرية–, وعملت الطبيعة على تحريك الجانب الإبداعي لدى الشاعرة معطيةً صورًا شعرية متناغمة, فبدأت بالمكان الذي يعدّ عنصرًا مهمًا في رسم الصورة الشعرية وما يحيط به من صور حركية كانت الملهم المناسب لتجسيد الآخر المحبوب, فيتداخل عطر

الأرض بكل الأحياء النبات، والحيوان، والإنسان، فضلًا عن بيان مكانته التي لا حد لها عند الشاعرة فوجود المحبوب مهم كأنه نور يشع في الكون، أو ماء يرتوي منه العطشان, فمفردة الطبيعة شكلت ملمحًا أسلوبيًا في البناء الشعري.

وجاءت مفردة الطبيعة في القول الشعري(١١):

أكرهتَ أزهارَكَ على العطر

كثر العشاق

واندلع الدم

لعبته الطفل

وسمرته الحروب

تركت الشاعرة فجوة في النص، لتكون مفتوحًا أمام المتلقي، أو القارئ قابلًا للتأويل وسعة الخيال، إذ جاءت مفردة الطبيعة بوظيفة إيحائية أعمق مما لو وضعت مفردة أخرى صريحة بدلًا عنها، إذ لها دلالتها الخاصة في النص الشعري، مستعملة لفظة "أزهارك"؛ لتدل على الأنثى مقابل الآخر الذكر الغائب، والأزهار هي رمز من رموز الحب؛ لذا جاءت الشاعرة بـ"كثر العشاق" لتلائم بين الأزهار والحب، أو العشق، فتشكل ملمحًا أسلوبيًا باستعمالها لمفردة الطبيعة ، ثم تأتي بالفعل "اندلع" مع "الدم" لتعطي دلالة جديدة لفعل الاندلاع المقترن بالدم, والمتعارف عليه أن الفعل "اندلع" يأتي مع النار, أو الحريق لا الدم, إذ نجدها استعارت فعل الاندلاع؛ لتبين قوة تدفق الدم في العروق وسيلانه بفعل الإكراه – إكراه الأزهار على إعطاء العطر–.

وجاءت مفردة الطبيعة في النص الشعري(١٢):

...

أيتها النار مسّدي ..

أنا مذ رأيتُ عيني فيك

امتنعتُ عن العمى!

...

بأسلوبٍ معبر استعملت الشاعرة سهام جبار مفردة الطبيعة "النار"، وممكن أن تعدّ لفظة "النار" من مفردات النور، أو الضوء، إلا أنها تعود بالأصلِ إلى الطبيعة، فاستعملت الشاعرة أسلوب النداء بـ "يا" المحذوفة(١٣), والتقدير: "يا أيتها النار مسدّي" فجاء أسلوب الأمر معضدًا لأسلوب النداء, دالًا على قرب النار من الشاعرة فطلبت منها أن تمسد عليها، وكأنها لها كفٌّ تربت عليها، وتعطيها حبًّا، وحنانًا، فضلًا عن ذلك أبرزت الشاعرة سمة التجسيد للنار، فمذ رأتها عينها فيها

امتنعت عن العمى، فذهبت إلى معنى بعيد عما يدور حول النار فقط، فرؤية تلك النار المادية، أرجعتها إلى نار معنوية، نار الظلم، والطغيان، والحزن، فما أن رأت تلك الأحداث تمرّ أمام عينها حتى أصبحت يقظة، وامتنعت عن الغفلة عن حقّها المشروع.

إنّ مفردة الطبيعة من المفردات التي كان لها الصدارة في الاستعمال من قبل الشاعرات العراقيات لما لها من تنوع فتجيء للماء، والرياح، والنور، والنار، والظلام، والنبات، والحيوان، والجبال، وغيرها، فهذه المفردات هي معجم شعري ثري للشاعرة العراقية التي نجحت في توظيفه في موضوعات مختلفة، فإذا بها توظف مفردة الطبيعة معبرة عن المحب، وعن الوطن، وعن فكرة ما، أو رؤية تريد طرحها لتصل إلى المتلقي بأسلوب جميل معبر، دل على وعيها، وحسن استعمالها للمفردات الطيعة بين يديها.

٢ – مفردة الحزن

إنّ الحزن هو أحد ثلاثة ركائز هي: الإبداع, والحكاية, والقيمة الدلالية, فـ "الحزن بوصفه قيمة دلالية جوهرية تجعل النسق أكثر غوصًا على المكبوت الإنساني. وبالتالي فإن القصيدة بوصفها أُمًا ورحمًا ولودًا تصبح هي القيمة النسقية للإبداع الحر"[١٤], فوظفت الشاعرة العراقية مفردة الحزن في نصوصها الشعرية مبثوثة باختلاف ألفاظه لتعطي صورًا مختلفة معبرة عن درجة الحزن وعمقه، فتارة نجدها تصف الحزن بمعناه العام باستعمال لفظة "الحزن"، ومرة تبين مرحلة أو حالة من حالات الحزن المتمثلة بالألم والوجع والجرح، والصراخ والهموم، والدمع، والطعن، والبكاء، فالشاعرة لم تصف الحزن فقط, بل بينت أسبابه أيضًا، ففي قصيدة للشاعرة لميعة عباس عمارة بعنوان:"أبو القاسم الشابي" قدمت الحزن بألفاظ مختلفة, قائلة[١٥]:

...

فيكَ أحبابي، ولا أدري ضيوفٌ

أم أسارى

خيمةٌ تسكنُها الوحشةُ قلبي

وَهمومي لا تُهاجر

ظلَّ أحبابي يُغنّون وإذا الشعبُ*

وظلَّ الشعبُ هَميّ

...

يتجه النص إلى تصوير ألم الشاعرة القابع في أعماقها، وهمومها التي لا تهاجرها "همومي"، إذ صورت الشاعرة ألمها لفقد الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي, معبرة عن واعز

مهم يحاكي الوطن, فبفقده فقد الوطن, إذ إن الشابي من الشعراء الذين تغنوا بحب الوطن, فجسده في قصائده، وحث في قصيدته "إرادة الحياة" أبناء شعبه، والشعب العربي على الإرادة والتحمل مع العمل الجاد لتحقيق ذلك, فضلًا عن خلق العزيمة والإصرار، قائلًا(١٦):

إذا الشعبُ يومًا أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر

ولا بدّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للقــيدِ أن ينكــسر

فيمثل الشابي رمزًا من رموز المقاومة, فالتقاعس, والاتكال ولّد همومًا لدى الشاعرة بعد أن كانت مكتفية بهمومها الخاصة, أصبح هم الشعب همها فأثقل كاهلها.

إنّ اللفظ يكون جزلًا تارة، ورقيقًا تارة أخرى، أو بين ذلك بحسب ملابسته والسياق الذي يرد فيه، وإن الألفاظ إن كانت بسيطة، أو جلية ليست هي المحك، ولكن طاقة الشاعرة، أو حركتها في النص هي التي تحدد قيمتها، فيتحدد أسلوب الشاعرة المبدعة، من جراء ما يسبغه على تلك الألفاظ من طاقة دلالية، أو ظلال يكشفها المتلقي الذي بدوره يكون عنصرًا مسهمًا في إتمام الصورة(١٧)، فتوظيفها لمفردة الحزن يجيء على وفق رؤية عميقة, فاستعملت الشاعرة نجاة عبد الله هذه المفردة في نصها الشعري(١٨):

الدمعة صافية

في نقطةِ الالتقاء،

تتكسر الأعمدة الثلاثة،

تقفز خارج حدود الحزن،

فيسقط الضوء في جرَّة .

فجاء النص معبرًا ذا دلالة عميقة اعتمدت فيه الشاعرة توظيف مفردة الحزن بلفظة "الحزن", ولفظة "الدمعة" وأضافت إليها صفة "صافية"؛ لتصور حالة الحزن بصورة دقيقة، فالنص عبّر عن حزن ولّده فراقًا، فالدمعة نتيجة لذلك الحزن، واتسمت تلك الدمعة بالصفاء، ونجد الشاعرة خرقت المتوقع بأن جعلت الدمعة في نقطة الالتقاء، لا الوداع، وبفعل الكسر"تتكسر" تنتقل لتوضح سبب تلك الدمعة، فـ"تتكسر" فعل مضارع دال على الاستمرار بالحدث، حدث التكسر، تكسر الشيء وتحطمه حيث لا تعود كالسابق، فالأعمدة الثلاثة التي تتكسر تقفز خارج حدود الحزن وكأنها تريد الهرب؛ لتنجو من ذلك الألم، ثم يسقط الضوء في جرّة، ونلحظ أن الشاعرة كسرت أفق التوقع، فما سقط هو الضوء في جرّة، والمتوقع أن يسقط ما يناسب الحزن والألم ويتلاشى, إلا أن ما يسقط النور في تلك الجرة المظلمة ليضيئها ويشتت حزنها.

وتأتي مفردة الحزن في قصيدة "النور الحامض" للشاعرة رسمية محيبس، قائلة(١٩):

الليلة
يحميك الحزن كقافلة
ويجوب بك الأنحناء
تحس بأن العالم
يسكن فيك
وأن اللحظات بيوتًا وشوارع
تفرق في رمل الذات
نرى من أطلق
من ذاك المعتقل البارد روحك
...

إذ تجسدت بألفاظ مختلفة لترسم صورة متماسكة معبرة عن الألم والمعاناة، فجاءت بالألفاظ "الحزن، تفرق، المعتقل، البارد"، وبمفارقة نجد الشاعرة جعلت من الحزن حاميًا يحمي ذلك النور الذي وصفته بأنه حامض، وإن النور هو دلالة على الخير، والصلاح، على العكس من الظلام الذي يدل على الشرّ، والطلاح، بيدَ أن الشاعرة لم تأتِ بالنور وما يشبهه، إنما جاءت بالحزن، ويدل لفظ الحامض على فساد الشيء وتغيره، فالنور ليس بساطع، بل هو نور حامض، فلم يكن نورًا خافتًا، أو خامدًا، بل حامضًا له طعم، ولون مختلف، فبات يحميه الحزن، كأنه قافلة ويجوب فيه الانحناء، ويسكن فيه العالم، واللحظات: هي مدد زمنية قليلة هي أماكن "بيوتًا، وشوارع"، فانتقلت من المكان "يسكن" إلى الزمان "لحظات" ثم عادت للمكان بـ"بيوتا، وشوارع"، ثم تنتقل لتجسد حرية الروح وتحررها من الألم بعد أن كانت حبيسة في معتقل بارد، ثم تنتقل بعد ذلك لتبين الألم، قائلة(٢٠):

يؤلمني هذا القلب
يكاد يذوب حنينًا
يرتكب الحلم
ويومض
ما بين الطعنة والأخرى
كيف اختصر الزمن الأسماء
ومن دونها
فوق زوايا النسيان
رتل في سرك آيات الحب
ولتوقظ جذوة روحك
بعد الحرمان

بالفعل "يؤلمني" الدال على التجدد والحدوث[٢١], معبرة عن الألم الملازم للحزن المتولد من الطعن، والغدر، فضلًا عن توظيفها مفردات أخرى تعضد هذه الدلالة وهي: (حنينًا, الطعنة, الحرمان) فسياق النص يشير إلى دلالة الحزن التي تتضمنها هذه المفردات, فتقول الشاعرة: "يكاد يذوب حنينًا", غير منفكٍ عن الحزنِ أبدًا, بل هو متعلقٌ به, وكذا الحال في: "ويومض ما بين الطعنة والأخرى..."، و"بعد الحرمان" فألم الطعنة, والحرمان له ارتباط بالحزن, بل هو أثر من آثاره.

أما الشاعرة سهام جبار فوظفت مفردة الحزن متمثلة بالرحيل والبكاء في قولها[٢٢]:

لديّ صغار تُعاد إلى البيوض
وأوطانٌ ترحل عن الرحيل
وبكاء يمدّ الأرض بالقبور

جاءت الشاعرة بلفظتي "الرحيل، وبكاء"؛ لتعبر عن الألم المتولد من الأحداث التي تحيط بها، ومبينة ما خلّفته الحروب من أحزانٍ، ومعاناة راسمة صورة للأوطان التي ترحل عن الرحيل نفسه, وربما أرادت الشاعرة أن تطرح صورة المفرد بالجمع مستعملة لفظة الأوطان التي مفردها "وطن" نائبة عن الإنسان نفسه، فالرحيل أصبح مؤلمًا أكثر، إذ بعض الأحيان يود الإنسان المتألم الرحيل هربًا مما يؤلمه، إلا أنه يجد ألمه في ذلك الرحيل والهروب فيكبر ويزداد، فكيف يمكنه أن يهرب، أو يرحل عن الرحيل نفسه؟ لنجده ماكثًا في مكانه مع بكائه وحزنه المستمر، وليس بالضرورة أن يكون البكاء حزنًا لفراق شخصٍ ما، بل قد يكون على النفس نفسها التي فقدت طاقتها وقدرتها فأصبحت ميتة، لا حياة فيها، فبات البكاء، والحزن وكأنه موتٌ يمدّ الأرض بالقبور, وليس هذا فحسب, بل قد تذهب الشاعرة العراقية لتوظف ألفاظًا ملازمة للحزن كـ(الدمع, والنواح), كما في النص الشعري[٢٣]:

(في الدمع النائح استيقاظ مفاجئ لذاكـــرة الرمل)
يشاغبني الرمل عـــن أصله
ويحتـــد قلبي لوقـــع الرحيـــل
فـــلولا المشانق وجه الجـــذور
لكـــان الزمـــان
يبسمـــل في لحظـــة المـــدّ
ان لا شـــريك
لهـــذي الشـــوارع غيـــر الضيـــاء.

استعملت الشاعرة ألفاظًا دالة على الحزن, هي: "الدمع، النائح، الرحيل" معبرة عن ألم شديد اعتلى قلبها، إذ أعطت صفة النواح "النائح" لـ"الدمع", النائح وجعلت منه يقظة مفاجئة اختزلت ذكريات كثيرة، فهي كذاكرة الرمل التي تخزن آثار من مشى عليها، ومن سامرها، مهما جاءت الرياح لتمحو تلك الآثار تبقى في الذاكرة، فيشاغلها الرمل ويملأ عقلها، وفكرها، وقلبها عن أصله الذي لا ينسى أي ذكرى مرت به؛ ليحتد قلبها ويغضب لألم الرحيل؛ فتكون الشاعرة مجبرة على الرحيل؛ بسبب القيود والتكبيل, لما تراه في الوطن من أحكام ظالمة مشانق مُعدة لمن يقول الحقّ، ولولا ذلك لكان الزمان جميلًا يبسملُ أنّ لا شريكَ لهذي الشوارع غير الضياء، والخير أمل، وفرح, ونور .

بهذا يتبيّن لنا أثر مفردة الحزن في بناء قصيدة المرأة العراقية إذ حضرت هذه المفردة بصورٍ عدّة, شكلت بمجموعها صورة متكاملة, حكت عن واقع المرأة في قراءة واقعها, أو ما يحيط به مُبرِزة بذلك سمات أسلوبية في اختيارات الشاعرات العراقيات.

٣- مفردة الحب

من المفردات التي لاقت أهمية كبيرة من لدن الشعراء مفردة الحب، إذ عني الشعراء بها، فأبدعوا في توظيفها بما ينسجم مع حالتهم الشعورية، فتارة نجدهم يتغنون بالحب، وجماله، وتارة يجسدون ألمه، ولواعجه، فيظهرون معاناتهم ومشاعرهم، وأحاسيسهم المختلفة، فما بين الحب والشوق والهيام نظمت قصائدهم، إذ جاء في الحبيبة, والأم، والأب, والوطن، والأخ، والصديق، والطبيعة، وغيرها من الموضوعات، وكذا الحال عند الشاعرة العراقية, فاستعملتها بأسلوبٍ معبر، ومنه ما قالته الشاعرة لميعة عباس عمارة في قصيدتها "شموخ" في حبِّ الوطن(٢٤):

أُحبُّكَ شامخًا في كلِّ أمرٍ
ويأسرُني بعينيك الذكاءُ
وأفرحُ أن أراكَ كأنْ أصليّ
سلامي شَهقةٌ
ويدي دعاءُ
وتملأُني – على فرحي– دموعي
أيصبِحُ ذروةَ الفرحِ البكاءُ

فالشاعرة في قصيدتها جمعت أكثر من مفردة معجمية لتعطي صورة متكاملة جميلة ومعبرة عن مشاعرها وأحاسيسها فجاءت المفردات "أحبك، ويأسرني، أفرح، شهقة، فرحي،

دموعي، الفرح، البكاء" متنوعة إلا أنها مترابطة سياقيًا، فأحسنت الشاعرة في توظيفها مجتمعة, فلو أبدلت المفردات الدالة على الحزن بأخرى لفقد النص جماليته وتماسكه ودلالته أيضًا، إذ إنّ الصياغة بهذا الشكل أعطت تلك المفردات سمات مرتبطة مع المفردة الأولى "الحبّ", وقد رسمت صورة متكاملة، منسجمة, فالحب والأسر والفرح والشهقة والدموع كلها جاءت في سياق مترابط لفظًا ودلالة, إذ ترابطت هذه المكونات في سياق منتظم.

وفي نص شعري آخر تأتي الشاعرة لميعة عباس عمارة بمفردة الحب بتصاريفها ومكررة في نصها، قائلة[٢٥]:

...

في اللاأرض
كالغصنِ المزروع بماءْ
يبدو حبي لك حتى الجذر
بغير عطاء
لكني أحببتُكَ حقًا
أحببتُكَ صِدقًا
أحببتُكَ في سن العشرين
غلطُتنا
أنّي أجهلُ حبَّ العصرِ
وتجهلُ وجد الصوفيين.

...

إنّ تكرار مفردة الحب "أحببتكَ" قد أعطاها أكثر من دلالة, فالمفردات إنما تدلّ بمتعلقاتها, فالحب الأول كانَ واقعيا حقيقيا, والحب الثاني لم يكن كذبًا وهى صادقة في حبها الذي كان حبًا لمن في سن العشرين, فمن كان في هذا العمر يحب بصدق وواقعية.

فمفردة الحب بالألفاظ: (حبي، أحببتك "المكررة ثلاث مرات"، حب العصر) آخذت حيزًا في رسم الصورة الشعرية وأضافت جمالًا مع تأكيد على ذلك الحب، وإذا ما ربطنا النص الشعري مع عنوان القصيدة "صومعة القهر" فنجد أن الشاعرة صرحت بحبها بعد أن فقدته فعانت ما عانت من القهر والألم من فقد ذلك الحب، والمحبوب معًا.

وجاءت مفردة الحب في قصيدة (بعض أخبار النساء) للشاعرة مي مظفر[٢٦]:

كانتْ ..
ومثلَ معظمِ النساءِ عاشقةْ
وعشقُها
كمثلِ كلّ العشق في بلادنا
مفارَقةْ :
ليلٌ يُضيئُه الحلُمْ
وصحوةٌ تأكلُ فيها الشمسُ طيفَ البارحة.

إذ نلاحظ أن الشاعرة جاءت بمفردة الحب بالألفاظ "عاشقة، عشقها، العشق" متصرفة من جذر لغوي واحد "عشق" أي: فرط في الحبّ[٢٧]؛ لتبين سمة هذا الحب, ودرجته, مبينة حال بعض النساء في الحب, مستعملة لفظة (عشق) بتصرفاتها لتصور درجة من درجات الحب وهو العشق, فالعاشق يبني أحلامًا كبيرة وجميلة مع المعشوق, فيعشق كل ما يحيط به في بلاده, فيضيء ليله الحلم ليصبح عالمًا آخر ترتسم به الأحلام وتتحقق، فإما أن يستمر, أو سرعان ما تخفت شعلته, فيبدأ بالأفول بالتدريج مشبهًا الصباح المقبل بخيطه الفضي تاركًا صحوته تأكل فيها الشمس الأحلام, والآمال؛ لتصبح ذرات متطايرة متناثرة في الهواء لا يمكن جمعها، وإعادتها لما كانت عليه سابقًا، فكأن الحياة أعطت العشق، والسعادة للمحب ليلًا وسلبتهما نهارًا.

٤- مفردة الموت

إن الموت من المفردات ذات الأهمية الكبيرة عند الشعراء، إذ أبدعوا في توظيفه، فشكل مع الحياة ثنائية ضدية في نصوص شعرية، وجاء منفردًا بألفاظ دالة عليه في نصوص أخرى، والشاعرة العراقية لم تبتعد عن ذلك الاستعمال، فبينت الموت في نصوصها الشعرية، وبألفاظ مختلفة كـ(الموت، يموت، مات، القبر، القبور، قتل، استشهد، دفن، جثث، مدفون، جثة، وغيرها)، ما أعطى صورًا وافية ذات سمات وملامح أسلوبية، وقيم جمالية، فنرى الشاعرة لميعة عباس عمارة استعملت هذه المفردة في نصوصها الشعرية، قائلة[٢٨]:

آه يا أمي
وماتتْ أمَهُ وهو يَموتْ،
كَبرَتْ جُثّته
تَنتظر القبرَ
وكان القبرُ مدفونًا
بأنقاض البيوتْ

يبدو أن الموت لا يهدأ له بال حتى يستنفد كل طاقات الشاعرة فيجعلها تخط وتبدع في تصوير الوجع والألم بصورة مبدعة[٢٩]، موظفة مفردة الموت بالألفاظ الآتية: "ماتت، يموت، جثته، القبر مكررة، مدفونًا" مبينة الألم والحزن الذي ولّده موت الأم، فالإنسان تربطه علاقة أزلية مع والديه، عميقة، فيها دفق من المشاعر والأحاسيس، وقد يميل المرء لأمه لما تمنحه من حنان، وعاطفة لولدها، فموتها يعني فجوة كبيرة، وهوة لا يمكن ردمها، وهذا يولّد موتًا معنويًا، فيكبر الجسد، وينمو وكأنه جثة خامدة فقدت مقومات الحياة تنتظر القبر ليستقبلها، وهو قبر مدفون بأنقاض البيوت ليضمها، بآلامها، وأحزانها.

لكلِّ شاعرة أسلوبها، وطريقتها في التعامل مع اللغة، وإثارة ما فيها من طاقات تعبيرية لإكمال الشكل الفني الذي يجسد رؤيتها، ويعبر عن واقعها الفكري، والنفسي، ولا شك في أن الشاعرة العراقية تمتلك وعيًا باللغة وبمحيطها، فعملت على توظيفها توظيفًا خاصًا, مشكّلة نصوصًا شعرية يتضح بها أسلوبها الخاص في توظيف مفرداتها المعجمية[٣٠]، فنجدها قائلة[٣١]:

الخيطُ يكرُّ ويسحب من طيّات العبق صغيرين ...

انغمرا من لعبةِ حربْ

ترميه بآلتها المعدنْ

يسقطُ فوق الأرضِ ويمسك قلبًا

يعرف أين يكون

سنتان ..

ويدركُ أن الموتَ يجيء من القلبِ

لتهطل بدلالات مفردة "الموت" في النص بصورة واضحة جلية، فتبدأ خيوطها عند قراءة النص، وتتضح دلالتها لدى المتلقي عند اكتمال النص فيكتشف أن الشاعرة أرادت موت المشاعر، أو الخذلان، أو الثقة، والصدق، موت الروح لا موت الجسد، فوظفت الشاعرة ألفاظًا تعضد دلالة الموت –موت الروح لا الجسد– وهي لعبة الحرب، وآلته المعدن، فالإنغمار والدخول في لعبة الحرب –الحرب النفسية– يؤدي إلى إنهاك النفس، والسقوط أرضًا متألمًا، ومتأثرًا بجراحه التي لا تندمل، ففي تلك اللحظة سيعرف من أين جاءت له الضربة التي أسقطته؟ منتبهًا لقلبه، مدركًا أن الموت جاء من القلب، من المشاعر التي تعطى لمن لا يستحقها، من الثقة التي ليست في محلها، فالقلب يكون أكثر تهورًا وانفعالًا من العقل الذي يُحكم الأمور قبل أن يُقبل عليها، فما نتيجة تلك الخيبة والجرح، إلا الموت موت الروح، وموت الطيبة والنقاء.

وفي نص شعري آخر بينت الشاعرة نجاة عبد الله الموت المعنوي، قائلة[٣٢]:

ظلي تعال
يا ظلي ...
قلتْ ...
يا ظلي ماذا يحدث
لو أن الفراشات
تقود العربة
ويموت من الغيظ السرور.

بتعبير مجازي استعملت الشاعرة مفردة "الموت" موظفة الفعل المضارع "يموت", "ويموت من الغيظ السرور" وفيه ملمح أسلوبي، إذ إنّ الموتَ غير متحقق واقعًا، ففعل الموت حاصل للسرورِ من الغيظ، والغيظ هو غضبٌ كامنٌ للعاجزِ(٣٣)، فكيف يموت السرور من الغضب؟ وأيّ فرحة تذهب معه؟ فتقدم الشاعرة حوارًا مع ظلها "يا ظلي ماذا يحدث لو أن الفراشات تقود العربة، ويموت من الغيظ السرور" متسائلة؛ لتحمل النص مفارقة، والمفارقة هي "لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالبًا ما يكون المعنى الضدّ"(٣٤)، فالنص قائم على معنى خفي، تشكل من وجود المتناقضات المتمثلة بقيادة الفراشات للعربة، وموت السرور من الغيظ.

٥- مفردة النور

مفردة النور من المفردات التي لها طابع تفاؤلي، وتعطي النص جمالًا، وتعد من المفردات التي تشكل ثنائيات ضدية مع مفردة العتمة، وتأتي هذه المفردة بألفاظ متعددة، ولها دلالتها التي تختلف من نص لآخر، منها: "القمر، والضوء، والشمس، والنهار، والنجوم"، فوردت هذه المفردة في شعر المرأة العراقية, ومنه ما جاء في نص شعري للشاعرة سهام جبار، إذ جعلت الشاعرة لفظة القمر جزء من عنوانها: "أعطاني القمر"، إذ تقول فيها(٣٥):

بعد كثيرٍ مما يفصل القمرَ عني
أعطاني استداراتٍ كثارًا إلى الوصول
وأعطاني نمشَ العري
وعثرةَ الغياب والشمس
عمّا أُعطيتُ وأُعطيتُ ، وأنا بهاق ..
بهاق يولول بين انسحاقه وفلول وجهي
لوجهي الذي يعرفُ ذبولَهُ .. زلالُ معرفته
كذلك نضارة المهزوم والمعمّر بين الأكناف.
لوجهي قمرٌ يتوارث ..
...

فالشاعرة استعملت لفظة "القمر" في النص الشعري إلا أنها لم ترد به الضوء، والنور، ففي الموضع الأول "بعد كثير يفصل القمر عني" أرادت به المحبوب –الوطن– الذي ترك آثارًا واضحة عليها من الألم تمثلت بـ "نمش العري، وعثرة الغياب"، وجاءت بـ"الشمس" لتكون مصدرًا للنور الذي يملأ الكون فأصبحت كبقعة مغايرة لما يحيط بها، كأن تكون أشبه بمرض البهاق الذي يصيب الجلد فيترك علامات بيضاء عليه، تخيف المصاب لظهورها المفاجئ، وكذا حال الشاعرة الذي يشبه البهاق، الذي يترك ذهولا عند من يراه.

وفي نص شعري آخر جاء في النص الشعري(٣٦):

كان سيغدو قمرًا
لو انه ..
محق الهالات
وبارك " الأهلّة" !

وظفت الشاعرة مفردة النور باستعمال لفظة "قمرًا"، إذ رسمت الشاعرة صورة معبرة عمن يريد أن يصل لغاياته وطموحه، ففي ذلك مساران: أما أن يسعى جاهدًا ويواجه كل الصعوبات والآلام التي تعصف فيه، أو أنه يمحق الهالات ويبارك للأهلة ليغدو قمرًا في تلك السماء، والهالات، والأهلة تعبير عمّن يتحكم بالأمور، ووصل لما وصل له بغير استحقاق.

وتأتي مفردة النور في قول الشاعرة بلقيس حميد حسن(٣٧):

أبحثُ في الوجوه
عن قمرٍ
ما صدّعتهُ جبهة الرياح والأقوال
ولا اشتراهُ مشترٍ بمال
عن قمرٍ
يُسحرنيَ ويوقد النيران
عن قمرٍ
لا يكتفيَ بضوئهِ
يعاندُ النهار
عن قمرٍ
معشوشبَ الخريف
غناؤهُ دموع
ودمعهُ قُبل
عن قمرٍ
قلبه عينَ الشمس
وبين كفيهِ اهتدت قوافل النجوم
...

بصورٍ شعرية جميلة رسمت الشاعرة صورة جميلة وظفت فيها مفردة النور بلفظ القمر وما يحمله من رموز، إذ استطاعت أن تحول دلالته من النور إلى سنة الجمال، والتميز بوصفها للمحبوب، إذ تبدأ باحثة عنه في الوجوه، له صفاته الخاصة لم تصدعه الرياح والأقوال، يسحرها ويشع نوره ويوقد النيران ، فهو لا يكتفي بضوئه بل يعاند النهار، فالنص حمل مجموعة من الألفاظ الدالة على النور تمثلت بالقمر الذي جاء محورًا أساسيًا في النص، وجاءت الألفاظ الأخرى "بضوئه، النهار، الشمس، النجوم" معضدة للفظة "قمر" الأولى المكررة.

٦- مفردة العتمة

إنّ الشاعرة تستحضر المفردات بحسب الحاجة, أو الموضوع الذي تطرحه, فتقدّم لوحات شعرية ذات ملامح وسمات أسلوبية، فضلًا عن جمالها وإبداعها في البناء الأسلوبي، فجاءت مفردة العتمة بألفاظ متعددة، منها: الليل، والعتمة، والظلام" مشكلة صورًا شعرية ذات ملامح أسلوبية، منها ما جاء في النص الشعري(٣٨):

تراقص الليل

يختمر الإسفلت

في قلوب النساء

فالشاعرة نجاة عبد الله استعملت لفظة "الليل" لتدل على العتمة، بصورة شعرية جميلة فجعلت من المسامير(٣٩) أجسادًا راقصة "تراقص الليل" إذ أصبحت أنيسًا يتسامر ويتراقص مع الليل، ومما "لا شك أن في الليل تتزايد الهموم، حتى يظن الإنسان أن لا صبح له"(٤٠), فتراقص الليل مع المسامير، وما يسببه من ألم، وكأنه رقصٌ على ألحان أنين قلوب النساء، فكثرة الأحزان والهموم صنعت حاجزًا، وغطاءً أشبه بغطاء تخمّر من الإسفلت أحاط بقلوب النساء.

وفي قصيدة "لحظة شاردة" للشاعرة (مي مظفر) نجدها تستعمل مفردة العتمة بلفظة "الليل" مكررة، ولفظة "العتمة"، قائلة(٤١):

...

في صمتِ الشارعِ .. لهو الريحْ ..

لكنَّ الليلَ يتابعني ..

ويظلُّ الليلُ يتابعني

وشريطُ الصمتِ يكممني:

شيءٌ يتحركُ في العَتمهْ ..

تكٌ يتأرجحُ فوق جدارْ ..

...

ذكرت الشاعرة مفردة العتمة بلفظة "الليل"، في "لكن الليل يتابعني"، و"ظل الليل يتابعني"، فأشارت إلى لحظة الشرود في "صمت الشارع", إذ نجدها متأملة في ذلك الصمت الممتد في الليل, فتظل متفكرة متأملة بما يحيط بها، إلا أن الليل يتابعها، والليل هنا أعطى دلالة الحزن والخوف من المجهول، فهو يتابعها، وكررت الشاعرة اللفظ مؤكدة على استمراريته وبقائه، ويأتي الصمت بشريطه ليكمم الشاعرة, أي يكمم فمها لتصمت، خوفًا من المجهول الذي لا تعلمه, والذي يتحرك في العتمة, ويتأرجح فوق جدار مجهول.

وردت مفردة العتمة في النص الشعري[٤٢]:

حينما يدنو الظلامُ
يغلقُ الليلُ المعابرْ،
حين لا يبقي سوى بابٍ مدورْ،
جرت العادة أن نحكي عن الموتى
ونجتزُّ السنينْ .

...

وفي هذا النص جاءت المفردة بلفظة "الظلام، والليل" لتعطي دلالة الحزن، فالليل نديم السمر، ونديم الحزن، فاقتراب الظلام ودنوه جعل الليل يغلق المعابر والطرق التي تؤدي إلى المحبين، فكأنه أغلق جميع الطرق والأبواب معًا، فلم يعدّ هناك سوى باب مدور، يجعلهم يدورون حول أنفسهم، فاختفت الأحاديث التي تضيء جلسات السمر، وذهبت معها حكايات الأجداد والجدات التي توارثتها الأجيال برحيلهم، وذهبت معها ذكريات السنين، فذلك الظلام الذي دنا، وأعطى فرصة لليل أن يغلق جميع المعابر التي تربط الحاضر بالماضي كان سببًا بقتل جلسات السمر وتجمع الأهل، فلم يبق منها إلا الذكريات في الذاكرة المنسية.

٧- مفردة الصمت

كثيرًا ما نجد الشاعرة العراقية تجنح إلى الصمت للتعبير عن رؤاها، وأفكارها، وإن شعرية الصمت هي تأثير داخلي تولد نتيجة القهر، والقمع، والظلم من النظام السياسي[٤٣]، فضلًا عمّا تعطيه من وظيفة دلالية، وجمالية في النص الشعري، فنجد الشاعرة العراقية أحسنت في توظيفه, ومنه ما جاء في قول الشاعرة "مي مظفر" في قصيدة "الخبر"،[٤٤]:

تعالى الصمتُ وانطفأ النهارْ
فحلّت بيننا رعشهْ.
خطىً كسرتُ ،
خطىً حجبتْ،
وظلَّ الصوتُ منكتمًا على خبرٍ
يلوج بجنح عاصفةٍ .. يضئُ لوهلةٍ،
ويغيبُ في لججِ الدوار .

فترى الشاعرة في القصيدة أن الصمت تعالى، وجاءت بـ"وانطفأ النهار، دلالة على حلول الليل الذي يتسم بالصمت والسكون، فكأن حال الصمت وتعاليه أشبه بسكون الليل وعتمته، فكسرت بعض الخطى، وحجبت أخرى، وتكمل قولها: "وظل الصوت منكتمًا على خبر"، ففي النص نجد دلالة الصمت في لفظة "منكتمًا" أي: مخفيًا، فكأن الخبر الذي تنتظره أصبح مخفيًا كالصمت الطويل، بل كأنه يلوح بجنح عاصفة تبتعد شيئًا فشيء، وتغيب في لجج الدوار لتختفي عن الوجود، فلا تجد له أثر، ولا مَعلَم.

وفي نص شعري آخر نجد الشاعرة العراقية استعملت الصمت معبرة عن السكوت، والسكون في النص الشعري(٤٥):

لو رحلت الأمسَ لاختلَّ الكلامْ
ولكنتَ أنطقتَ الحمامْ
وأعرتَ الصخْرَ حُزنًا فوق حزنٍ
لو رحلت الأمسَ لكنْ
...

في النص الشعري لم تأت الشاعرة بمفردة الصمت، واضحة، بل جاءت بما يقابلها إلا أنه أعطى المعنى الذي تبغيه "لاختل الكلام، أنطقت الحمام" وهذا يعدّ نوعًا من المفارقة، إذ إن المبدع يأتي بمعنى سطحي، وهو يريد معنى آخر خفيًا(٤٦), فضلًا عن استعمالها لمفردة الصمت واضحة في عنوان القصيدة "إلى من رحل بصمت"، فأعطى مفتاح القصيدة العنوان معنى واضحًا، ثم بدأت الشاعرة برموزها الشعرية، مبتدئة بتفسير الحزن والمعاناة التي خلفها ذلك الرحيل الصامت، لتفتتح القصيدة بأسلوب الشرط بالأداة "لو"، مبينة بعض الأمنيات غير الممكنة الحدوث، "لو رحلت الأمس لاختل الكلام"، ففي النص تبين أن الرحيل بصمت جعل كل شيء في موقعه الأساس، فلو تأخر أو تقدم لفقدت الكلمات توازنها وخارت كلمات الوداع، حتى أنه لأنطقت الحمام، وازداد حزن الصخر حزنًا، فالصمت هنا جاء مهدئًا، ومواسيًا لها.

وتأتي الشاعرة البستاني بمفردة الصمت عنوانًا لقصيدتها "صمت" قائلة(٤٧):

في البدء كانتْ كلمةٌ
واشتعلَ الريحانُ
...
منْ يومها ووجهُكَ الفتانُ يُعطي الخبزَ والدفءَ ،
ويُعطي الوجدْ ..

مِنْ يومها،
والروحُ عصفورٌ جريحٌ
في عذاب الجسدِ السجينْ ..
لائبةٌ بحبِّ فارس حزينْ ..
تطوف حول دارهِ ،
تحطُّ في رحالهِ ،
لكنهُ مكبّلٌ بالصمتْ ..
لكنه مكبّلٌ بالصمتْ ..

إذ يتجلى في القصيدة معنى الوجد والحب الذي كبل بالصمت في النصوص الشعرية، فتبدأ بأسلوبها الحكائي الذي توضح فيه تجليات الحب، فبعد أن كان كلمة كما بينت الشاعرة "في البدء كانت كلمة" عارية من كل ما يحيط بها، تلبس معناها في كلمات كثيرة، فوجه المحبوب الفتّان يعطي الخبز والدفء والوجد، وجاءت بالخبز معبرة عن الحياة والعيش، والدفء هو الاستقرار، أما الوجد فأعطى دلالة الحب، فأصبحت الروح طائرة كعصفور جريح يرفرف في السماء متألمًا، فهي حبيسة الجسد، ولائبة بحب فارس حزين، فلا تدور حول داره، وتحط في رحاله، إلا انه مكبل بالصمت لا ينطق بما يسر فؤادها، ويريحها.

وفي نص شعري آخر(٤٨):

للصمتِ شكلُ بابْ
سينغلقْ
ما إنْ تمرَّ الفاجعةْ
للفاجعةْ
رتاجْ
لن ينفتحْ
حتى يرى الحمامَةْ
لن تأتيَ الحمامَةْ
إلا إذا الصيّادْ
مضى بلا عودَةْ
لكنما الصيادُ كالكابوسْ
لن ينتهي
حتى يفيقَ الصمتُ من رقادهِ
..
متى إذن نفيقْ ؟!

تبين الشاعرة دلالة مفردة الصمت في النصوص الشعرية، إذ جاءت معبرة عن دلالتها الأصلية وهي السكوت، وهو نقيض البوح أيضا، فترى أن الصمت يعم المكان ما إن تكون هناك فاجعة فهو شبيه بالباب الذي يغلق أمام الفاجعة والألم، ولا يفتح إلا عند رؤية الحمامة التي تنتظر مضي الصياد وذهابه بلا عودة، وهذا الأمر لا يتحقق؛ لان الصياد سيعود ليقتنص فريسته، فلا أمل من ذهابه بلا عودة فهو كالكابوس لن ينتهي، ولكن ممكن أن ينتهي بحالة واحدة وهي عندما يفيق الصمت من رقاده الطويل، وهذا النص أشبه بحياة الإنسان الذي يتقبل كل شيء فيبقى خائفًا مختبئًا، يحكم إغلاق بابه ما إن تمرّ عاصفة، أو فاجعة، فلا ينطق الحقّ لينقذ بريًا، فالإنسان يبقى فريسة سهلة كالحمامة لكل صياد، فالصياد يمثل الظالم، والسلطة، وغيرهما، فلا ينتهي الظلم والجور بالسكوت والخنوع والصمت، فهو كابوس مستمر، لكن يتبدد باستفاقة ذلك الصمت، وتقدم الشاعرة استفهامًا عن زمن الإفاقة "متى إذن نفيق؟!"، فهي لم ترد إجابة عن استفهامها التعجبي، بل أرادت أن تبين مدى تعجبها واستغرابها من تلك الرقدة الطويلة، وذلك الصمت العجيب، ففي النص تدعو إلى النهضة، والاستيقاظ من ذلك السبات، سبات الصمت، والخضوع، والذل.

ويتضح أن الشاعرة العراقية أخذت مفردة الصمت برموزها ودلالاتها المختلفة عبر استعمالاتها المجازية, مشكلة صورًا متماسكة منسجمة مكثفة وبأقصر عبارة, خالقة بناءً أسلوبيًا مميزًا[٤٩].

خاتمة البحث ونتائجه

درسنا في هذا البحث مفهوم المفردة المعجمية، وبيّنا أهم المفردات التي استعملتها الشاعرات العراقيات، واتضح لنا النتائج الآتية:

١- إن للمفردة المعجمية أثرا في البناء الأسلوبي في شعر المرأة العراقية، إذ أسهمت المفردة المعجمية في كشف عالم النص لما تحمله اللفظة من دلالات مختلفة تحقق التعدد في المعنى، فالمعنى الأول يعطي معنى ثانيا ، والثاني يتيح معنى آخر وهكذا إلى أن يصل إلى خلق صورة دلالية منسجمة مع الواقع الذي تريده الشاعرة.

٢- استعملت الشاعرات العراقيات مجموعة من المفردات المعجمية، مركزة على مفردات بعينها متدرجة في طرح معانيها.

٣- نجد أن الشاعرات قد أنتقن مفرداتهن بدقة، فاختارن ما يناسب موضوعاتها، إذ لم يكن اختيارهن اعتباطيا ، بل كان اختيارًا دقيقًا.

٤- عبّرت الشاعرات- باستعمالها للمفردة المعجمية- عن تجربتهن الخاصة بأسلوب معبر، كشفن عن عالمهن الداخلي، ومعالم رؤيتهن، متفننات في إعطاء لوحة فنية جسدن فيها ما يردن إيصاله إلى المتلقي.

٥- اعتمدت الشاعرات العراقيات القيم الدلالية الجوهرية للمفردة المعجمية بأسلوب إبداعي، لبيان قدرتهن في خلق بناء أسلوبي مميز.

الهوامش

(١) ينظر: الأسلوبية اللسانية: ١٣٧-١٣٨.

(٢) ينظر: البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية: ١١١-١١٢.

(٣) ينظر: أسلوبية القصيدة الحداثية في شعر عبد الله حمادي: ٢٦٣.

(٤) ينظر: في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية, د.سعد مصلوح: ٨٥.

(٥) ينظر: البنيات الأسلوبية في شعر إيليا أبو ماضي: ١٣٩.

(٦) ينظر: الرمز في قصيدة (بانت سعاد) قراءة في الدلالة النفسية, د.رائد فؤاد طالب الرديني-جامعة البصرة: ٣.

(٧) ينظر: البنيات الأسلوبية والدلالية في شعر محمد الأخضر السائحي: ٢٤٥.

(٨) الأعمال الشعرية, بشرى البستاني: ٤٧١-٤٧١. وينظر: ليليات, مي مظفر: ٦، و٨، و٢٨, و٢٩, و٣٠، ٥٧. وينظر: محنة الفيروز, مي مظفر: ١٢، و١٤، و١٧، و٢٣, و٢٤. وينظر: الأعمال الشعرية, بشرى البستاني: ٤٢٢- ٤٢٣ . وينظر: لحظة ينام الدولفين, كولالة نوري: ١١. و١٩, و٢٠, و٢١, و٢٣. وينظر: نوارس تقترف التحليق, ريم قيس كبة: ٤٤.

(٩) ينظر: في التشكيل اللغوي للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق: ٤٦.

(١٠) غزالة في الريح: ٤١.

(١١) نعاس الليلك: ١٦١.

(١٢) الشاعرة: ٤٦.

(١٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٤١٣

(١٤) تأذيت القصيدة والقارئ المختلف, عبد الله محمد الغذامي: ٤٧.

(١٥) البعد الأخير:١٢٠. وينظر: ٤٧. وينظر: معزوفات: ٩. وينظر: غزالة في الريح: ٤٤. وينظر: الأعمال الشعرية لبشرى البستاني: ٤٨٠. وينظر: المصدر نفسه: ٣٩٨ .

(١٦) ديوان أبي القاسم الشابي، قدمه وشرحه أحمد حسن بسج : ٧٠ .

(١٧) ينظر: البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية: ١١١.

(١٨) قيامة استفهام: ٢٣. وينظر: ٥١.

(١٩) الطلقة أنثى: ٣٤.

(٢٠) المصدر نفسه: ٣٤.

(٢١) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ٤١

(٢٢)الشاعرة: ٤٠.

(٢٣) زيارة لمتحف الظل: ٢٢.

(٢٤) البعد الأخير: ٣٧. وينظر: ليليات: ٢٧. وينظر: عند نبع القمر: ٤٠- ٤٢.

(٢٥) المصدر نفسه : ٤٦-٤٧. وينظر: المصدر نفسه: ٣٥، و٦٠, و٧٥.

(٢٦) محنة الفيروز: ٨٥. وينظر: مخاض مريم: ٦٤. وينظر: زيارة لمتحف الظل: ٣٥ .

(٢٧) ينظر: الصحاح: ٤/ ١٥٢٥.

(٢٨) البعد الأخير: ٨٨. وينظر: الطلقة أنثى: ٣٩, و٤٠.

(٢٩) ينظر: العتبات النصية في شعر عبد الرزاق الربيعي: ١٣٧.

(٣٠) ينظر: الظاهرة الأسلوبية في شعر هانئ المغربي الأندلسي (٣٢٠-٣٦٢ه)، أسماء سوسي : ١٤٠.

(٣١)غزالة في الريح: ١٢. وينظر: ٤٠.

(٣٢) نعاس الليلك, نجاة عبد الله : ٨١. وينظر: المصدر نفسه: ١١, وينظر: الشاعرة, سهام جبار: ٥١-٥٢.

(٣٣) ينظر: الصحاح: ٣/ ١١٧٦.

(٣٤) المفارقة، نبيلة إبراهيم : ١٣٢.

(٣٥) الشاعرة, سهام جبار: ٣٥. وينظر: قيامة استفهام, نجاة عبد الله: ١٨.

(٣٦) معزوفات, سلام خياط: ٦٢. وينظر: المصدر نفسه: ١٠, و١٣, و١٩, و٢١, و٣٤، و٣٨, و٤٥.

(٣٧) مخاض مريم, بلقيس حميد: ٦٥.

(٣٨) نعاس الليلك: ١١. و ٢٧.

(٣٩) مسامير هو عنوان القصيدة الذي عادت إليه الشاعرة لتجعله عنصرًا مشاركًا أساسيًا في بناء النص الشعري.

(٤٠)المعجم الشعري بحث في الحقول الدلالية والخطاب الشعري الحديث بلند الحيدري نموذجا:٢٢.

(٤١) ليليات, مي مظفر: ١٠.

(٤٢) المصدر نفسه: ٣١.

(٤٣) ينظر: المعجم الشعري بحث في الحقول الدلالية والخطاب الشعري الحديث بلند الحيدري نموذجًا: ١١٩.

(٤٤) ليليات: ٦٨. وينظر: ٦٧, و٧٠, و٧١. وينظر: البحر يصطاد الضفاف: ٤٢٢- ٤٢٣ .

(٤٥) محنة الفيروز: ٣٨. وينظر: ٤١.

(٤٦) ينظر: العتبات النصية في شعر عبد الرزاق الربيعي: ١٣٣.

(٤٧) الأعمال الشعرية لبشرى البستاني: ٤٥١- ٤٥٢ . وينظر: المصدر نفسه: ٤٢٢- ٤٢٣ .

(٤٨) أغمض أجنحتي واسترق الكتابة, ريم قيس كبة: ٥٨. وينظر: نوارس تقترف التحليق, ريم قيس كبة: ٣٨- ٤٦ .

(٤٩) ينظر: دلالات الصمت في شعر زهور دكسن, د. جبار عودة بدن: ٦.